الفصل الأول

واقع الإعلام التنموي في العالم العربي

ما كاد عقد الخمسينات من القرن الماضي ينتهي حتى ظهرت في العديد من الدول العربية أصداء نظريات الإعلام التنموية وأشهر هذه النظريات

نظرية ولبرشرام

تنطلق هذه النظرية في دور وسائل الإعلام في التنمية من خلال الأثر الذي تحدثه وسائل الإعلام في المحيط الذي تعمل فيه، يقول ولبرشرام " أن الثورات في أوروبا وأمريكا ما كانت لتتم دون وسائل الإعلام وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم والتطور التكنولوجي والاتصالي، على أساس أن هذه التطورات أحدثت تطورا وتحولا عميقا في حياة الناس" .

ويضيف شرام أن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام لتنبيه دول العالم الثالث على واقعها المتخلف كان له أثر كبير في إيقاظ الشعوب المتخلفة من سباتها وفي جعلها تتطلع إلى مستوى معيشة الشعوب المتقدمة، فالإعلام والمواصلات كانا العامل الأهم في إيقاظ هذه الشعوب كما أن الإعلام أعطى الدول النامية قنوات قوية تستطيع أن تبلغ بها جماهيرها رغم الحواجز الكثيرة .

ويربط شرام بين واقع تركيز وسائل الإعلام والاتصال، وبالتالي الخدمات الإعلامية التي تقدمها في المدن الكبرى ويوجد نقص شديد في المدن الهامشية أو الأرياف والقرى، وحسب شرام فهذا الأمر موجود في المدن الكبرى والهامشية في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء .

يدعو شرام إلى إجراء أبحاث إعلامية في الدول النامية من أجل زيادة المعلومات والدراسات المختلفة عنها ولمعرفة الإمكانيات الإعلامية

المتوافرة فيها وهي تهدف إلى :

1- توضيح الرؤيا في كل ما يتصل بعملية الاتصال وفعاليتها .

2- لا تستطيع البلدان النامية إنفاق أموال على حملات غير ناضجة بسبب عدم وجود معلومات وأبحاث .

3- جمهور وسائل الإعلام في الدول النامية متنوع الفئات والأحوال ويصعب التنبؤ بردود أفعاله .

4- وسائل الإعلام الحديثة تحتاج إلى البقاء وعلى صلة بجماهيرها والجماهير في الدول النامية تتحول بسرعة .

وحسب نظرية شرام فإن وظائف وسائل الإعلام هي :

1- الرقيب .

2- التعليم .

3- توسيع الآفاق الفكرية .

4- معرفة أسلوب حياة الآخرين .

5- تنمية التعاطف بالتقريب بين الناس .

6- التعرف والاطلاع على مختلف الأشياء في البلد .

7- تقديم قيادة الإدارة الحكومية لشعبها لبث أفكارها ومعتقداتها وخطوات عملها .

8- بعث الطموح والتطلع إلى حياة أفضل وإيجاد مناخ فكري يحفز الناس على التغيير والتطور .

هذه هي وظائف وسائل الإعلام التنموية حسب نظرية العالم "ولبرشرام" .

ثانيا : نظرية ليرند

ينطلق دانيل ليرند في نظريته حول العلاقة بين التحضر ووسائل الإعلام من مقدرة الإنسان على التقمص الوجداني، هذه المقدرة التي يعتبرها إحدى الخصائص الأساسية اللازمة للانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث .

التقمص الوجداني حسب ليرند هو القدرة على تخيل حياة أفضل وهذه القدرة تمثل خبرة أساسية ينبغي توافرها في الإنسان الحديث الذي يعيش الحياة الحديثة .

يري ليرند أنه توجد علاقة بين التمدن ومعرفة القراءة والكتابة من جهة، وبين معرفة القراءة والكتابة والتعرض لوسائل الإعلام من جهة أخرى، ويعتبر أن التمدن هو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه .

التمدن ((هو حالة ذهنية واستعداد للتغير والتبدل والتكيف وتقبل المعلومات الجديدة الصادرة عن المراكز الحضرية ولا يمكن للتمدن أن يحدث إلا بقبول المعلومات والأفكار الجديدة))

أصل نظرية ليرند كانت عبارة عن خلاصة أبحاث تحليلية أجريت في 73 دولة ومنطقة في الشرق الأوسط وأهم نتائجه :

1- أن الناس الأكثر اتصالا بالعالم الخارجي هم أكثر استعدادا لقبول التغيرات الاجتماعية .

2- الاتصالات ومعرفة تجارب الآخرين تساعد على تسهيل التغيرات الاجتماعية .

3- يوجد توافق بين انتشار التعليم وتطور وسائل الإعلام والاتصال والنمو الاقتصادي والحضري .

4- كلما زاد معدل الدخل القومي للفرد ونمت المدن وزاد التصنيع زادت معه مطالعة الصحف وكثرت وتنوعت وسائل الإعلام .

يعتبر ليرند أن التمدن يزيد الحاجة للإعلام وهو قاعدة الانطلاق لتطوير وسائل الإعلام، ويعترف أن وسائل الإعلام ودورها واستخداماتها بشكل عام فاق درجة التمدن نفسها .

وظيفة الإعلام ودوره في المجتمع العربي (يتبع)

انتشار النظريات التنموية في الوطن العربي أثار اعتقاد مفاده، بأن الواقع المتميز للمجتمعات العربية يطرح مفهوما جديدا للوظيفة الإعلامية .

بمعنى أن مهمة وسائل الإعلام لا تبقى مقتصرة على تلقي وبث الأخبار والمعلومات ولا على تفسيرها وتحليلها بل هناك مهمة غائبة وهي ((المساهمة في رقي وتطوير المجتمع نفسه من خلال دفع القراء والمستمعين والمشاهدين إلى إدراك خطورة المشكلات التنمية والى البحث عن حلول وجرى **تلخيص الوظيفة الإعلامية في مجالين أو ثلاث :**

أ - أن تقوم وسائل الإعلام في المجتمع العربي بدور المنبه للتنمية من خلال إثارة اهتمامه بقضايا التنمية .

ب- حشد الدعم الشعبي والجماهيري للتنمية والتي تفقد مضمونها دون مشاركة شعبية فاعلة .

ج- ضرورة الربط بين سياسات الاتصال والإعلام وبين السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى تتكامل في خطة شاملة للتمنية المستدامة .

الخلاف الكلاسيكي الذي دار حول دور الإعلام في المجتمع العربي يتلخص في ما إذا ما كان بناء الإنسان يبدأ يتعثر أوضاعه

الاقتصادية أم بالتأثير على عقله ووعيه أولا .

الإعلام لا يقتصر دوره في التنمية الشاملة على البناء المعنوي للإنسان، بل أنه يسهم أيضا في البناء المادي .

يشبه الخبراء العرب الإعلام بالجهاز العصبي في جسم المجتمع لأنه هو من يعمل على تفجير الطاقات الموجودة في الإنسان وشحنها للبناء في إطار التغير للقديم وإحلال الجديد من قيم وعادات وسلوك .

عملية الاتصال والإعلام لدى المواطن ترسخ شعوره بالانتماء إلى وطنه وقوميته وعقيدته واستغلال هذا الشعور في التنمية ضرورة من ضرورات النجاح .

يبدي الباحث ((دومنيك دوسوش)) أن دور رجل الإعلام في التنمية هو دور المعلم في المجتمع، ذلك أن لأجهزة الإعلام مهام محددة وبرامج مفصلة، وهذه المهام هي التعليم والترفيه والأخبار .

الإعلامي التنموي كمنفذ للسياسة الإعلامية له، كذلك دور المعلم (يقول د \ محمد سيد محمد خير : الإعلام التنموي العربي ((في نفس الوقت الذي يتوجه فيه الإعلام إلى المجموع ليؤثر وليفعل فيه كمجموع، فإن كل فرد هو أيضا في حد ذاته هدف من أهداف الإعلام ((لأنه بإقناع أكبر عدد ممكن من الأفراد يمكن أن ينجح التغيير المنشود لعمليات التنمية المستدامة .))

خلاصة : الإعلام التنموي في إطارنا العربي هو جزء من كل وهو يتفاعل مع المجتمع بكامل تراثه وحاضره ومراحل تطوره، وهو إن كان إعلاما رسميا أو خاصا فانه غالبا ما يكون في كلتا الحالتين أداة من أدوات السياسة العليا للنظام السياسي السائد في أي بلد عربي .

التخطيط الإعلامي بالنسبة للعالم العربي يعني أيضا التكامل بين وسائل والإعلام المختلفة لتتعاون معا على أداء مهمة أو أكثر بحيث تصل الرسالة إلى أوسع جمهور ممكن بعد أن تثير انتباه و يقول الخبير الإعلامي (أريك بارنو) ((لا يكفي أن تنتج إنتاجا بالجملة للكلمات والظلال والأصوات مهما تكن جميلة وصادقة، بل لابد كذلك من أن نوصلها إلى المتلقين وأن نجعلهم يلتفتون لها، ولابد أن نحملها إليهم أينما كانوا ويجب أن تلازمهم في بيوتهم، لذا نجد أن معظم الخبراء التنمويين والإعلاميين اعتبروا أن مقومات خطة التنمية هي نفسها مقومات خطة الإعلام، وذلك لارتباط الخطتين ببعضهما ارتباط عضوي .

موقع الاتصال والإعلام في العملية والتنموية (نظرة تشخيصية) :

الاتصال لوحده لا يمكن أن ينهض بعبىء التنمية، ولكن عدم مساهمة الاتصال ووسائله في خطط التنمية يؤدي إلى حصول إخفاقات ومصاعب غير متوقعة تؤثر سلبا على مجرى العملية التنموية .

يقول خبير الإعلام التنموي الدكتور زكي الجابر ((بات من حكم المؤكد أن الإعلام يمكن أن يكون الاتجاهات الايجابية نحو التقدم المنشود للبلدان النامية، وبذلك يسهم في تسريع التنمية بزيادة فعالية الأساليب الأخرى .

تكوين الاتجاهات والمواقف والآراء يتم عن طريق نشر القيم وكل ما يدعو إلى الإيمان بالقدرة على البناء وتصور النماذج الإنسانية المتقدمة حضاريا وهذا ما تقوم به أجهزة الإعلام الحديثة .

مما لا شك فيه أن دور الإعلام في المجتمع ينبع من أهمية ما يعطي الإعلام من ادوار داخل المجتمع خلال عملية البناء التنموي ، فالإعلام يساعد على إيجاد اتفاق عام بين فئات المجتمع الواحد ويقوم

بحثها على المشاركة في عمليات التنمية المستدامة .

عوائق التنمية والإعلام التنموي في العالم العربي :

بما أننا اتفقنا على أن مقومات خطة التنمية هي مقومات خطة الإعلام التنموي فإن عوائق التنمية قد تكون كذلك هو عوائق الإعلام التنموي .

يلخص الدكتور إبراهيم امام هذه العوائق على الصعيد الإعلامي في الآتي :

أ- قلة تعرض الجماهير في العالم العربي بالذات القوى المنتجة لوسائل الإعلام والاتصال .

ب- انتشار الأمية وعدم قدرة وسائل الإعلام على السيطرة على جمهورها المحلي .

ت- ابتعاد المضمون الإعلامي في وسائل الإعلام المتاحة عن اهتمامات الجماهير العربية .

ث- عدم توافر وسائل الاتصال والإعلام المطلوبة للقيام بالإعلام التنموي وخاصة الكوادر المؤهلة كذلك .

ج- عدم قدرة وسائل الإعلام على تحقيق الانسجام بين فئات المجتمع العربي مثل تهميش بعض الفئات .

ح- عدم قدرة وسائل الإعلام في المجتمع العربي القيام مهمة الضبط الاجتماعي والفكري والدفاع عن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع .

خ- تغلغل نمط (مجتمع الاستهلاك)الغربي عموما والأمريكي خصوصا في عقول الناس في العالم العربي بعد أن نجح الغرب في جعل الإعلام والثقافة إلى سلعتين يمكن استيرادهم مثل أي سلعة.

من المهم أن نشير إلى دور شركات الإعلان الغربية العملاقة في نشر ثقافة الاستهلاك من خلال التأثير النفسي على المواطن (أي من خلال استخدام علم النفس الجماهيري) للإقناع المباشر أو غير المباشر، واستناد إلى ذلك يعتمد الإعلان التجاري في وسائله وأساليبه المشابهة للوسائل والأساليب المعتمدة في التحرير الإعلامي طريقة تصميمه أربع مراحل اسمها ((أيدا AIDA) وهي الأحرف الأولى من أسماء المراحل التالية في اللغة الانجليزية (1- الانتباه attention، 2 - الاهتمامinterest، 3- الرغبةdesire، 4- الفعلaction)

تطوير الاتصال والإعلام لإنجاح العملية التنموية في العالم العربي :

من المهام المطروحة أمام الحكومات والنخب العربية تطوير الإعلام ووسائله تقنيا وتحريريا حتى يساهم بشكل مستمر وأفضل في نجاح خطط ومشاريع التنمية .

إذا كان واقع الاتصال والإعلام في الدول النامية متخلف، فان الهدف الجوهري لأي وسيلة إعلام في هذه البلدان يجب أن يتمثل في إقامة البنى التحتية للاتصال والإعلام كجزء من البنى التحتية للاقتصاد ككل .

كلما حدث تطور في مجالات الاقتصاد سيحدث لزاما تطور في مجالات الإعلام والاتصال .

تـأثرت المنطقـة العربيـة بتقريـر لجنـة ماكبرايـد الـذي أعدتـه منظمة اليونسكو وصدر في عنوان الكتاب ((أصوات متعددة _ عالم واحـد)) والـذي جـرى فيـه البحـث بعمـق في علاقـة الاتصـال والإعـلام والتنمية، والـذي تتضـمن مجموعـة اقتراحـات وتوصيات للبلـدان الناميـة وكانت الدول العربية جزء من هذه البلدان وأخذت الجهات المعنية بهذه التوصيات **وهي الآتي :**

1- يجـب النظـر إلى الاتصـال ووسـائله علـى انـه جـزء مهـم مـن منظومـة متكاملة مع باقي قطاعات الدولة .

2- يجب على الدول النامية والعربية اخذ التدابير اللازمة لإنشاء وتطوير البنى الاتصالية المطلوبة للتنمية .

3- يجـب تـوفير مجـالات اسـتثمار في مجـالات الإعـلام والاتصـال أسـوة بباقي مجالات المجتمع .

4 – يجب اعتبار الاتصال والإعـلام موردا رئيسيا مـن مـوارد التنميـة مـن خلال تنمية استراتيجيات الاتصال .

5 – يجب مواجهة التحدي التكنولـوجي مـن خـلال إدخـال التكنولوجيـا اللازمة لعمل الإعلام ووسائله .

6- يجـب إشـراك وسـائل الإعـلام والاتصـال في السياسـات الثقافيـة واعتبارها الركن الأساسي لذلك

7- يجب توسيع نظم الاتصال وتنوعها بمـا يـلاءم تطـور المجتمـع وتطـور متطلباته .

8- يجـب علـى البلـدان العربيـة الـربط بـين السياسـات التربويـة والعلميـة والإعلامية لخدمة عمليات التنمية .

أما الباحث التنموي والإعلامي محمد عبد القادر احمد وفي كتابه (دور الإعلام في التنمية) يضع مجموعة من المقترحات يراها ضرورية للمنطقة العربية لتطوير دور الإعلام في التنمية وهي كالآتي :

1- زيادة حصة البرامج التعليمية والإرشادية في وسائل الإعلام .

2- ضرورة أن تغطي البرامج الإعلامية بقية القطاعات التي لا تحظى بالاهتمام مثل السياحة ـ البيئة ـ المرور

3- أن توسع الوسائل الإعلامية نشاطها خارج مراكز المدن الكبيرة .

4- إحياء الفلكور واستخدامه في التنمية وفي برامج الإذاعة والتلفزيون.

5- أن تتولى هيئة مشرفة على برامج التنمية في وسائل الإعلام تنسيق الجهود بين جميع المؤسسات .

6- ضرورة إجراء بحوث إعلامية في المناطق المختلفة لقياس وتقييم فاعلية وسائل الإعلام في المدن .

7- تدريب العاملين في الإعلام التنموي لزيادة خبرتهم في هذا المجال

تجربة مؤسس سنغافورة الحديثة وباني نهضتها لي كوان يو: حكاية فرد صنع تاريخ دولة

ولد لي كوان يو في 16 سبتمبر عام 1923، وأصبح أول رئيس وزراء للجمهورية السنغافورية في عام 1959 بعد انتخابات برلمانية فاز فيها حزب العمل الشعبي الذي أسسه عام ، 1954 وبقي في منصبه، الذي تولاه في سن ال35 سنة، حتى عام ، 1990 بدأ حياته شيوعيا متزمتا وأنهاها نموذجا تاريخيا في التنمية. لم يتنازل عن فاصلة واحدة من تراث بلاده الاجتماعي. فأثار ازمة سياسية كبرى مع الولايات المتحدة لأن مراهقا اميركيا لطخ نظافة المدينة بالدهان. لكن هذا التمسك

بالمبادئ والميراث والعادات لم يتعارض لحظة واحدة مع استخدام الحداثة من اجل الكفاية والضمان الاجتماعي والتقدم والنمو. وكانت النتيجة سنغافورة المعاصرة التي ارتبط اسمها باسم لي كوان يو 'الديكتاتور الرشيد'.

الباني وطنا للناس

كان من المذهل اقامة مثل سنغافورة الحالية في فقر آسيا قبل اربعة عقود. غير ان لي كوان يو الذي جاء من اوكسفورد الى المستعمرة البريطانية السابقة، كان يحلم بأن يبني وطنا للناس وليس له. لذلك بنى المصانع لا الاذاعات. وامر الناس بالعمل لا بالاصغاء الى الاذاعة. ومنع التجمع الا للصلاة. واغلق السجون ليفتح المدارس. واقام في آسيا نموذجا مناقضا لكتاب ماو تسي تونغ وثوراته الثقافية. ولم يسمح للمذابح لدى الجارة الاندونيسية بالتسرب الى بلاده. وطبق حكم القانون، لكنه لم يحول بلاده الى سجن تطعم فيه الفئران كوجبات دسمة، كما لدى جارته بورما.

الوحدة والتحدي

ويقول لي كوان يو في كتاب سيرته الذاتية عن تلك المرحلة: بعد الانفصال مباشرة توليت منصب رئيس الحكومة، وكل شيء حولي ينذر بالانهيار، فنسبة البطالة تقارب 15٪ والدولة الجديدة تكاد تخلو من كل شيء: القوة العسكرية مؤلفة من كتيبتين ماليزيتين، البنية التحتية متخلفة للغاية، قوات الشرطة لا وجود لها من الناحية العملية، المدارس والجامعات لا تفي بالحاجة، الغليان العنصري والديني يهدد بالانفجار في أي لحظة، التهديد الخارجي لم يتوقف، وكانت ماليزيا تنتظر فشلنا على أحر من الجمر لتستخدم القوة في إعادة سنغافورة إلى حظيرة الملايو.

الأخطاء دروس

بعد الرحيل النهائي للقوات البريطانية من سنغافورة، يشرح لي كوان يو الإجراءات التي اتخذت لمواجهة المرحلة الجديدة: 'لم يكن أمامنا إلا أن نبدأ بالسياحة، ما أدى إلى نجاح جزئي لكنه غير كاف للقضاء على البطالة. فكان من الطبيعي ألا تقتصر خططنا على جانب واحد من الاقتصاد، لذا شجعنا على بناء المصانع الصغيرة، خصوصا مصانع تجميع المنتجات الأجنبية على أمل أن نبدأ بتصنيع بعض قطعها محليا، وعرفنا الكثير من الفشل سواء لنقص الخبرة أو لعدم الحصول على الاستشارات الصحيحة. وكلفنا ذلك الفشل غاليا لكننا استفدنا من الدروس المكتسبة وعملنا لئلا نقع في الخطأ مرتين'. ويضيف كوان يو نقطة مهمة: 'اخترنا دائما الفرد أو العنصر الأفضل لأي مهمة أو واجب، مهما كانت انتماءاته أو أصله أو دينه، كنا نهتم بالنتيجة فقط وكنا نعلم تماما أن فشلنا يعني حروبا أهلية واندثار حلم'. وبعد انسحاب آخر جندي بريطاني، تمكنت حكومة لي كوان يو من استعادة جميع القواعد والأراضي والمباني التي كانت تعود الى البريطانيين واستغلالها بصورة مربحة، كما تمكنت من تقليص البطالة إلى حدودها الدنيا مع نهاية عقد السبعينات من القرن الماضي. ومن بين أهم إنجازات تلك الفترة بناء مدينة جورونغ الصناعية على مساحة 9 آلاف فدان لجذب الاستثمارات الأجنبية. وفي فترة قصيرة، وثبت سنغافورة وثبتها الكبرى باستغلال موقعها الجغرافي المتوسط بين اليابان وأوروبا واندماجها الكامل في الاقتصاد الدولي وبعدها عن نقاط التوتر في قارة آسيا، فأصبحت تستقبل 70 ٪ من تجارة الحاويات في العالم كما تحولت إلى واحدة من أهم المراكز المالية.

واضع تفاصيل حياة السنغافوريين

لا يوجد شيء في سنغافورة لم يلحظه بصر لي كوان يو الثاقب أو ترقبه عيناه المتيقظتان: بدءا من اختيار النباتات لتحويل سنغافورة إلى واحة خضراء، مرورا بتجديد فندق رافلز الرومانسي، وانتهاء بحث الشباب، بشكل سافر وصريح وجريء، على الزواج من فتيات في مستواهم الثقافي نفسه. وتحمل سنغافورة النظيفة بصمة لي كوان يو الواضحة، ولا يعتذر عن تأثيره النافذ في بلاده: 'إذا كانت سنغافورة دولة مربية، فأنا فخور برعايتها وتنشئتها'. واختار لي كوان يو اللون الابيض للباس حزب العمل الشعبي الحاكم. وسأله مرة أحد الصحافيين عن سبب اختيار هذا اللون، فأجابه 'هذه الملابس ترمز الى الشفافية والنظافة.

· من القاع إلى القمة..

تمثل رحلة الصعود " المذهلة " لسنغافورة واحدة من معجزات القرن الماضي. فعند استقلال سنغافورة في مطلع الخمسينيات كانت عائدات القاعدة العسكرية البريطانية تمثل ثلاثة أرباع دخلها القومي مما عزز التشاؤم حول قدرة الدولة الصغيرة على النمو بمفردها والدخول الى مصاف الدول المعترف بها .

· بناء الإنسان والاهتمام بالتعليم في المقدمة..

إن الاسس التى اعتمدت عليها سنغافورة في تحقيق معجزتها اعتمدت اصلا على بناء الانسان وقبله الاعتماد على القيم الحضارية والتاريخ والتقاليد ومن ثم الانطلاق الى الاخذ بمقومات بناء دولة حديثة لا تعرف حدودا للتطور.

لكن ما إن اصبح الاقتصاد السنغافوري في حاجة إلى مزيد من الأيدي العاملة المؤهلة حتى غيرت الدولة سياستها السكانية في الاتجاه المعاكس باعتماد برنامج جديد يهدف لتحفيز المواطنين لزيادة النسل، خصصت له ميزانية تقد بـ 300 مليون دولار. وهذا التغير في السياسة السكانية ناتج عن أن كل مولود جديد في مرحلة التخلف يعني عبئا على الاقتصاد، بينما في مرحلة النمو و التقدم ومع توفر الخدمات التعليمية و الصحية اللازمة للأطفال فان ذلك يجعل منهم ثروة بشرية تدفع بدورها عجلة الاقتصاد إلى الأمام.

أما الاساس الاهم فارتكز الى سياسة تعميم التعليم وتحديثة باعتماد أفضل المناهج في العالم حيث تتصدر سنغافورة الأولمبياد الدولي في امتحانات المواد العلمية، بينما لم تستطع دولة عربية واحدة أن تكون من ضمن الـ 30 دولة الأولى في آخر النتائج المنشورة للتقييم الدولي للتقدم التعليمي في مادة الرياضيات على سبيل المثال .

واعتمدت المعجزة السنغافورية على اساس اخر لا يقل اهمية عن الاول والثاني حيث اعتمدت على بيروقراطية صغيرة الحجم ذات كفاءة عالية (قوامها حوالي 50 ألف موظف لا اكثر) وعلى درجة كبيرة من المهنية والتعليم والثقافة.

كما تم الاعتماد على اسس وظيفية تمثل نموذجا يمكن ان يدرس، من بينها ان التعيين في مختلف الوظائف يتم عبر مناظرات عامة مفتوحة للجميع بينما يحصل موظفو القطاع العام على رواتب تنافسية مثل القطاع الخاص إن لم يكن أعلى (200 ألف دولار راتباً سنوياً للوزير كمثال) الى جانب الشفافية وانخفاض نسبة الفساد الاداري والمالي الى حد ان سنغافورة تتصدر حاليا مؤشر الشفافية الذي تصدره منظمة الشفافية الدولية.

وكان لي كوان يو المعروف عالميا بصانع معجزة سنغافورة الاقتصادية قد بدأ كلامه عن: (حياة البلدان التي تشبه حياة الإنسان، فيها الحلو والمر، والماضي والحاضر والتخطيط للمستقبل).

ويتابع: (لا يدوم شيء في التاريخ أكثر مما هو مكتوب له انظروا إلى الاستعمار، كيف انتهى في جنوب شرق آسيا وفي الشرق الأوسط، من كان يظن في بداية القرن الماضي ان هذا الاستعمار، كان سينتهي؟) وأكد لي كوان يو ان لكل دولة طابعها الخاص وحياتها الخاصة بعيدا عن تأثير الدول البقية، معتبرا ان الصين طورت اقتصادها معتمدة على النموذج الروسي. غير انها حدثت هذا النموذج الذي يختلف من دولة إلى أخرى.

ونجحت بكين في تحديث البنية التحتية لاقتصادها عبر اعتتماد هذا النموذج الشيوعي المتطور وستكون خلال 10 إلى 15 سنة القوة الاقتصادية الأولى في العالم، لكن ليس على حساب الولايات المتحدة أو اوروبا.

ونصح الدول الصغيرة. كالكويت وسنغافورة، بالاعتماد على النفس، قائلا: (الجيران غير المناسبين يعلمونك الاعتماد على نفسك).

وعن النظام السياسي الذي يجب ان تعتمده الدول لبناء اقتصاد قوي، اعتبر لي كوان يو ان هذا النظام ليس مهما (ان كان ديموقراطيا او دكتاتوريا)، بل الاهم هو تشجيع الشعب والافراد على العمل لمصلحة البلاد، والبلاد فقط، وتغذية المواطنية في حياة الافراد تبقى اساسية لبناء شعوب متحضرة.

وشدد على ضرورة (اكل كل ما في الصحن، لا نصفه ورمي النصف الآخر)، بمعنى ان الدول عليها استغلال الموارد البشرية والطبيعية بشكل كامل لتحقيق النمو المتوازن والصحي.

التعليم أولاً

من ناحية اخرى، رسم لي كوان يو خريطة نمو البلدان، ناهلا من خبرته في تأسيس دولة سنغافورة العصرية، قائلا: (الدول تبدأ بالتعليم، وهذا ما بدأت فيه عندما استلمت الحكم في دولة فقيرة جدا، اهتممت بالاقتصاد اكثر من السياسة، وبالتعليم اكثر من نظام الحكم، فبنيت المدارس، والجامعات، وارسلت الشباب الى الخارج للتعلم، ومن ثم الاستفادة من دراساتهم لتطوير الداخل السنغافوري).

وتابع: (لقد جعلت سنغافورة خضراء، ونظيفة، على الرغم من ضيق المساحة التي لا تتعدى ال 600 كلم مربع، فشجعت على نشر محلات الزهور بدل المساحات الخضراء الشاسعة مثل في شنغهاي).

وعن الهند، قال لي كوان يو انها تبعت كالصين النموذج الروسي الذي لا يعتبر كافيا وهو يقول بضرورة عمل الناس وتقاضي رواتبها.فهذا النموذج غير كاف في عصرنا لذا نجد الهند اقل نموا وتطورا من الصين.

واضاف، (لا اعتقد انها ستكون نموذجا اقتصاديا يحتذى به بقدر انها ستحقق من 60 الى 75٪ من التحديات وهذا شيء جيد، خصوصا في ظل نظام بيروقراطي سيئ جدا).

تجربة الصين ... دروس وعبر

ان التجربة التنموية الصينية تعد من اكبر وانجح التجارب التنموية في العالم وذلك للظروف الصعبة التي واجهت هذه التجربة وفي

مقدمتها كبر حجم السكان وقلة الموارد قياساً بالسكان، لذا فان التعرف على اساسيات هذه التجربة يجعلنا نقف على الدرب السليم عند القيام بالتخطيط لاي عملية تنمية .

إجراءات ما قبل التنمية ...

كانت الخطوات الاولى للقيام بتنمية شاملة هي القيام بعدة اجرآت منها : (الغاء الامتيازات الاجنبية – تأمين التجارة الخارجية – تحديد حدود دنيا للاجور ترتبط هذه الحدود باسعار الارز (سلعة الغذاء الرئيسية) – تطبيق نظام البطاقات التموينية لاستهلاك السلع الاساسية مع تحديد اسعارها – فرض نظام تراخيص العمل والاقامة في المدن – تأمين المشروعات الكبيرة ومصادرة الملكيات الكبيرة واملاك بعض الاجانب –ألغاء العملة السابقة – تنظيم الملكيات الزراعية الصغيرة والمتوسطة في شكل جمعيات تعاونية (تشبه هذه المرحلة الى حد كبير الاجراأت التي قامت في الاتحاد السوفيتي بعد الثورة) .

بداية الخطط التنموية

1- بدأت الخطة الخمسية الاولى بين (1953- 1957) باعطاء وزن كبير للصناعة بمختلف مستوياتها، مع التاكيد على الزراعة واعادة تنظيم الجمعيات لضمان تقديمها لفائض اكبر لتمويل عملية التنمية، أي ان (ماوتسي تونغ) كان يؤكد على الزراعة والصناعة معاً، كما ان التوازن كان موجوداً بين الاستهلاك والتراكم وتوسيع نظام التعليم والقضاء على الامية . وقد نجحت الخطة نجاح كبير فارتفعت معدلات نمو الصاعة الى (20٪) عما كان متوقعاً وارتفعت مستويات الصحة والتعليم بشكل واضح، ومعدلات نمو الزراعة (41٪) مما ضمن تحسناً ملحوظاً في مستوى

التغذية، وارتفع تراكم الدخل القومي الى (24٪) ومعدلات الاستثمار المادي الى (71٪).

2- ادت النتائج الايجابية للخطة الخمسية الاولى الى زيادة الثقة بامكان تحقيق انجازات اكبر، فوضعت الخطة الخمسية الثانية (1958- 1962) لتحقيق القفزة العظيمة الى امام، والهدف هو مضاعفة الانتاج خلال سنة واحدة تحت شعار (بقدر ما يجسر الانسان بقدر ماتنتج الارض) وقد ركزت الخطة على الصناعة الثقيلة وتمويلها من خلال زيادة نسبة التراكم المقرر من الانتاج المحلي ومعنى ذلك زيادة الفائض المطلوب من الزراعة والصناعة الاستخراجية، ولم تنجح القفزة في دفع الانتاج الصناعي الى المستويات المرجوة في الوقت الذي ضعف فيه دور الصناعات الصغيرة، فقد شهدت الفترة مابين (1957- 1960) النزاع ثم الفراق بين الصين والاتحاد السوفيتي، وتعاقب ظروف مناخية مدمرة عصفت بالانتاج الزراعي، وكان الفشل في الصناعة واستمر التنظيم الزراعي وفق الخطة.

3- وضعت الخطة الخمسية الثالثة بين (1963- 1967) وسط مشاكل عديدة، فقد ارهقت المواجهات الخارجية الامكانيات العامة وانخفضت انتاجية الصناعة عما كان مقدراً لها وظهر فتور في حماس العاملين لضعف الحوافز المادية، وكانت قيادة الصين تشعر ان النظام فيها كان مستهدف، فمن حرب في كوريا الى اخرى مع الهند والى ثالثة لمواجهة القوى التي حاولت اعادة السيطرة على الهند الصينية، وخوفاً من انتكاس الثورة قامت حركة سميت بـ(الثورة الثقافية) عام (1966) وكان هدف

(ماو) من اثارة الثورة الثقافية تكتيل قوى الشبيبة بأعتبارها صاحبة المصلحة في التغيير وانها الوحيدة القادرة على دفع الصين الى امام وماجهة الاعداء دون اعتماد على أحد من الخارج، وقد تبع التوجه الجديد تعديل اسلوب الخطة الثالثة ومدها حتى عام (1970) لكي توائم التغيرات الجديدة، وكانت مشكلة الثورة الثقافية ليست في المسائل التي طرحتها ولكن في العنف الذي شملها واتساع نطاق تطبيقها في المدن التي هي المراكز الحساسة للتغير الاجتماعي مهما قيل عن الريف وطاقاته، وقد واكب الثورة الثقافية تغيير مادي واضح من مضاعفة نصيب الصناعة الثقيلة التي اصبحت قاعدة التطور الصناعي، وزيادة انتاج الصناعات الخفيفة والمحلية التي مكنت من تغطية نسبة هامة من احتياجات الاقاليم وكانت انتاجيتها مرتفعة الى حد جعلت الصين مكتفية ذاتياً في اغلب السلع الغذائية ويتمتع المواطنون بمستوى تغذية اعلى بكثير عما كانوا يحصلون عليه .

كما كان لها الاثر في بروز القيم الصينية التقليدية مثل العمل باجتهاد في سبيل المصلحة الذاتية وطغيانها على بعض قيم الحزب الشيوعي، ومن ثم عادت الاسرة لتكون الوحدة الاهم في الريف الصيني، وبعدان كان الصيني في الماضي يخدم الشعب اصبح يخدم الاسرة ونفسه .

4- خفت حدة الثورة الثقافية عند وضع الخطة الخمسية الرابعة وفي ظل الانفراج الدولي أزاء الصين وخروجها من عزلتها وانضمامها الى الامم المتحدة، واستمرت الخطة في سياسة الاعتماد على الذات وزيادة الاستثمار المخصص للصناعة مع استمرار الجهود

الاجتماعية للقضاء على الامية وتوسيع فرص التعليم وتحسين المستوى الصحي والمعاشي للمواطنين، اما الانتاج الزراعي فقد قفز الى ما قيمته (223) مليون دولار في السنة، أي بمعدل (600٪) عما كان عليه عام (1949)، وقد احتلت الصين بعد هذه الخطة المركز الثالث في العالم بعد روسيا وامريكا من حيث حجم الانتاج الصناعي وتنوعه .

5- اما الخطة الخمسية الخامسة (1976- 1980) والتي توفي فيها (ماو) خلال السنة الاولى بدأت سياسة اصلاح جديدة ترى ان العبرة هي في ثبات الخطوات ومواجهة الواقع وليس في القفز فوقه، كما وجهت الدعوى الى تحديث الصناعة واعطاء البحث العلمي والتقدم التكنلوجي دوراً اكبر تحت رعاية الدولة واعادة النظر في المشروعات وتقويمها على اساس ادائها وحسن انتاجها وليس على اساس حجم هذا الانتاج بغض النظر عن نوعيته وهي المشكلة التي واجهت الدولة الاشتراكية في المراحل الاولى لعملها. وبعد رحيل (ماو) ضعفت الايدلوجية الاشتراكية وعادت الوطنية الصينية الى البروز ومعها فكرة (ان الصين مركز العالم) .

ظهور بعض مظاهر التغييير

أ - في محاولة لارجاع (شنغهاي) لسابق عهدها كمركز تجاري وصناعي دولي، اقيمت في الثمانينات (14) شركة امريكية – صينية مشتركة في مجالات (الاجهزة الكهربائية – المعدات النفطية – العطور - ...الخ) اضافة الى مجموعة شركات مشتركة مع اليابان وهولندا وألمانيا .

ب- أنشاء عدد من المشاريع الخاصة، ففي عام (1984) كان هناك (9,3) مليون مشروع متوزعة بين النقل والبناء وصناعة الاحذية والخدمات . وقد خلف هذا طبقة برجوازية صغيرة في الصين .

ج- انشاء مناطق حرة في عدة اقاليم على الساحل الصيني الجنوبي الشرقي لجلب رؤوس الاموال الاجنبية .

د- بدأت الصين تستجيب الى كتابات الغرب الرأسمالي حول ضرورة تحديد النسل لايجاد نوع من التوازن بين السكان والموارد، وقد قررت فرض نوع من العقوبات على من ينجب اكثر من طفل واحد، مما ادى الى عودة ظاهرة (وأد البنات) في الريف التي اختفت عند قيام الثورة .

مؤشرات النجاح بالارقام حتى منتصف الثمانينات :

1- ارتفع الدخل الصناعي بعد الخطة الاولى (128٪) عما كان عليه في السابق .

2- يقدر انتاج الصين من مادة الارز بـ أكثر من (38٪) من انتاج العالم.

3- ارتفع انتاجها من القمح من (30) مليون طن عام (1970) الى (41) مليون طن عام (1975) واحتلت المرتبة الثالثة في العالم بعد روسيا وامريكا، وكان نصيب الفرد من القمح (394كغم) .

4- ارتفعت نسبة الادخار الى (40٪) وهي اعلى نسبة في العالم، حتى اعلى من اليابان .

5- ارتفع معدل الدخل القومي للفرد الصيني الى (4,7٪) خلال (33) سنة من عام (1952- 1985) على الرغم من زيادة السكان

(400) مليون نسمة، وهو من اعلى المعدلات في العالم .

6- ارتفع معدل العمر من (48) سنة عام (1949) الى قرابة السبعين في نهاية السبعينات وانخفض معدل الوفيات الى حوالي (6) بالالف .

أسباب نجاح التجربة الصينية :

1- التعاون بين الدولة والقاعدة العريضة من الجماهير، وبخاصة الفلاحين الذين يشكلون الجزء الاعظم من السكان، كما ان بداية الثورة كانت في الريف الذي انطلق منه الحزب الشيوعي .

2- اصلاح الزراعة وهي القطاع الرئيسي في الصين من خلال القضاء على الاقطاع وتوزيع الاراضي وتكوين الجمعيات الفلاحية ونجاح الاستثمارات الزراعية وقيام بعض الصناعات في الريف وبالتالي لم ينعكس سلباً على العمالة الريفية (واصبح الفلاح احد اهداف التنمية، بعد ان كان ضحية في تجارب دولية اخرى) .

3- نجاح الثورة الثقافية الى حد ما في تطوير ابناء الصين بكافة فئاتهم ونشر القيم الاشتراكية .

4- كفاءة الجهاز التخطيطي كان له الدور الفاعل في تعبئة الطاقات والموارد وموازنتها بشكل دقيق بحيث حققت اشباع هذا الكم الهائل من السكان والقيام بالتصدير وتحقيق مكانة متقدمة بين الدول الصناعية .

5- القيم والعوامل الاجتماعية كان لها الاثر البالغ في نجاح خطط التنمية مثل تحديد الاستهلاك - الادخار - تحديد النسل – احترام العمل وتقديسه – التعاون .

6- الاستفادة من الاخطاء السابقة في الخطط الخمسية وتجنب الاخطاء التي وقعت بها الاشتراكية وتطبيقاتها في روسيا .

7- انخفاض معدل الضرائب الى ادنى مستوى مما ساهم في تخفيف العبىء على المواطنين (الفلاحين بالذات) .

8- الموازنة بين قطاعات التنمية والسير في تطويرها بمسارات متقاربة .

9- استقلالية النظام السياسي في الصين وعدم تبعيته بالرغم من المساعدات الهائلة التي قدمها الاتحاد السوفيتي، الا انها انتهت بعد فتور العلاقة بينهما عام (1960) .

العبرة من التجربة التنموية الصينية ...

ان اهم درس يؤخذ من هذه التجربة الكبيرة هو امكانية قيام التنمية اذا ما توفرت الارادة لذلك واذا ما توفرت القيادة التي تعتمد التخطيط السليم وتحقق التعاون مع الشعب فلن يقف حجم السكان الهائل عائق امام التنمية، بل العكس فقد تم استغلاله بشكل جيد بحيث قفزت الصين الى مصاف الدول المتقدمة خلال فترة قصيرة، وفي هذا درس مهم جداً لكل الدول النامية ذات الموارد المحدودة وحجم السكان الكبير في ان يستفادوا من هذه التجربة العظيمة، مع الاخذ بنظر الاعتبار ضرورة الاستقلال السياسي والغاء التبعية التي كانت العامل الاساسي في نهضة الصين ونهضة أي دولة تحاول القيام بالتنمية الناجحة .

.تجربة هونج كونج

أدى تطور الاقتصاد الآسيوي وزيادة تعقيده إلى زيادة الآمال المعقودة عليه، وزادت المطالب بالانفتاح والمساءلة، وصارت تلك الدول

تواجه استحقاق تحول المجتمعات وضرورة الإصلاح السياسي

النمور الآسيوية

يرتبط الحديث عن هونغ كونغ بالحديث عن التجربة الآسيوية، وبخاصة في دول جنوب شرق آسيا، حيث قامت نهضة اقتصادية، ثم منيت بنكسة قوية أدت إلى انهيار اقتصادي كبير.

فبعد معدلات نمو اقتصادي عالية وصلت إلى 10٪ في ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايلند وتايوان والصين، بدأت الأمور تتغير بسرعة منذ عام 1997.

لقد اتبعت دول شرق آسيا سياسات متروية قائمة على تنمية الصادرات، وقد نجحت في تحقيق نمو في الصادرات بنسبة 11.8٪ سنويا في عقد الستينيات، 24.6٪ في عقد السبعينيات، 9.5٪ في عقد الثمانينيات، 11.8٪ في النصف الأول من التسعينيات ليصل مجموع صادرات هذه الدول عام 1995 إلى 855 مليار دولار.

ويلاحظ أن الأزمة كانت متفاوتة في أثرها، فلم تكن في سنغافورة وهونغ كونغ مثل إندونيسيا وتايلند، وربما يعود السبب إلى التفاوت في الإنفاق على التعليم والرعاية الصحية والمساواة في فرص التنمية، وربما يكون من أسباب تلك الأزمة أيضا السماح للمصارف بأن تتجاوز ديونها القدرة على سدادها، فيعتقد أن الديون المعدومة التي لا يمكن تحصيلها والتي أثقلت مصارف جنوب شرق آسيا تمثل حوالي 15٪ من الناتج المحلي للمنطقة، وتوثقت علاقات المصارف برجال السياسة والحكومات، ففتحت أدراجها لرجال السياسة، وكانت المصارف جزءا من عملية تسييس توزيع الاعتمادات، وكان الكثير من

المشروعات يهدف إلى تحقيق الهيبة المبالغ فيها، كالطرق السريعة، والسدود، والمجمعات الصناعية، والمطارات.

لقد تفوق نمو الاقتصاد الآسيوي على الهياكل السياسية للدول، وصارت تواجه استحقاق تحول المجتمعات وضرورة الإصلاح السياسي.

يبلغ عدد سكان آسيا 60٪ من سكان العالم، وكان ناتجها المحلي في أواخر القرن التاسع عشر يساوي النسبة نفسها تقريبا بالنسبة للاقتصاد العالمي، ولكنه انخفض عام 1920 إلى حوالي 25٪ من الناتج العالمي، ثم انخفض في الأربعينيات من القرن العشرين إلى 19٪، ثم عاد في التسعينيات ليصل إلى 37٪ بفضل النمو الاقتصادي الذي شهدت دول شرق آسيا، وقد تستطيع إذا تواصل نموها الجاد أن تستعيد النسبة التي كانت عليها عام 1900 بحلول عام 2025، ولكنه توقع ليس مؤكدا، فتاريخ القرن الماضي يظهر أن الدول الغنية تميل إلى البقاء غنية على حالها وتحتفظ بمركزها القيادي على من تبقى في الميدان.

آسيا القادمة

كانت دول شرق آسيا في نهاية التسعينيات تخصص حوالي 15٪ من الناتج المحلي للإنفاق العام، ووصلت هذه النسبة إلى 25٪ في ماليزيا، وقد بلغت هذه النسبة في الدول الأوروبية 40- 50٪، بل إنها وصلت في هولندا إلى 56٪.

وقد جعلت العولمة من الصعب على الحكومات أن تواصل تمويل برامج الرفاه، فعندما يزيد إنفاقها ويتزايد اقتراضها فإنه يتعين

على هذه الحكومات الساعية إلى الحصول على القروض من أسواق المال الدولية أن تدفع أقساط الفوائد المترتبة على هذه القروض، وهكذا ترتفع تكلفة قروضها، الأمر الذي يتطلب أن تدفع أكثر لخدمة ديونها.

وتكاد آسيا تتميز، ومن المؤكد أنها متفوقة إن لم تكن متميزة بالمستوى العالي من الالتزام بالتعليم، ويحقق الآسيويون نجاحات عالمية في مستوى التعليم والذكاء.

ستظل القوة العسكرية الأميركية حتى وقت غير محدد هي التي توفر الضمانة لأمن معظم الدول الآسيوية، وقد أظهرت آسيا مدى ما يمكن تحقيقه ولكنها لم تقدم بعض الأفكار الجديدة للعصر وربما يعوق الفساد المتمكن من تحقيق نمو عادل وإصلاحات سياسية، وقد يكون في هذه المقولة حسب رأي المؤلف مبالغة كبيرة، فثمة فرص كبيرة لعمل تجاري واستثماري غير مرتبط بعلاقات سياسية كما يشاع عن شروط تحقيق الصفقات التجارية، ولا يمكن بالطبع نفي التداخل الحاصل بين عالمي السياسة والتجارة، ولكن النظر إلى ذلك كمدخل وحيد للاستثمار هو خرافة كبرى تنفيها وقائع كثيرة جدا في عالم التجارة والاستثمار في آسيا.

إن العلاقات بين الصين والغرب في العصر الحديث تعود إلى نهاية القرن السابع عشر، وهي فترة طويلة وكافية لبناء علاقات ومصالح متراكمة ومتواصلة.

ومنذ منتصف التسعينيات استغل الصينيون ثغرات في المحاولات الأميركية والأوروبية لوضع إستراتيجية شاملة تفصل السياسة عن الاقتصاد، وصار هناك في الدبلوماسية الغربية مصطلح "الدكتاتور المدلل"، ولكن السؤال الأساس في رأي المؤلف، هو كيف يمكن

التوفيق بين اتجاهات الصين الإصلاحية وما تحققه أسواقها الواعدة وبين مساعدتها على الإصلاح السياسي والديمقراطي.

إن النمو الاقتصادي يحقق أكثر من النمو السياسي، بل يولد تعددية سياسية أكبر، ويحتاج إليها في الوقت نفسه، فالتقنية والخيارات الاقتصادية والرخاء الشخصي والسفر والتعليم يساعد على إنتاج أجندة سياسية، والرجال والنساء الذين يجوبون الإنترنت بحثا عن المعلومات والأخبار، والذين يدخرون ويريدون استثمار أموالهم بحكمة، والذين يرون على شاشات أجهزة التلفاز بشكل مباشر طريقة عيش الآخرين لن يقتنعوا طويلا بأن يحرموا من مناقشة مستقبلهم الخاص وتقريره بأنفسهم.

وهما الصين واليابان بعيدتين عن الوصول إلى ذلك النوع من التسوية التاريخية التي قربت فرنسا من ألمانيا في وسط أوروبا وشكلت المصير السياسي للقارة الأوروبية ومؤسساتها، وتظل اليابان تعارض القيام بدور في آسيا والعالم، وهو الدور الذي ينبغي أن يدعمه وزنها الاقتصادي.